Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الإنسانية
العدد (108) المجلد (1) حزيران 2026

رواية آلام السيد معروف لغائب طعمة فرمان: قراءة سيكولوجية

A Psychological Reading of Ghaib Tu'ma Farman's: The Sorrows of Mr. Ma'rouf

م.د. هدى فاضل محسن م.م. جنان أحمد زيدان
جامعة ديالى / كلية التربية للعلوم الانسانية

Abstract

Psychological studies are closely linked to literature, as they seek to uncover the inner dimensions of fictional characters and analyze their hidden feelings, thoughts, and motivations. Based on this connection between literature and psychology, the present study is a psychological study of the novel "The Sorrows of Mr. Ma'rouf". It focuses on the character of Mr. Ma'rouf, the central figure in the novel. The study explores Mr. Ma'rouf's inner side attempting to understand his anxieties, feelings, and thoughts, as well as how Mr. Ma'rouf views life and the world around him.

Email:
Ajenan630@gmail.comhudamohsin169@gmail.com

Published: 1- 6 -2026

Keywords: السيكولوجية، السرد النفسي، آلام السيد معروف.

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY 4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الملخص

ترتبط الدراسة النفسية أو السيكولوجية بالأدب ارتباطًا وثيقًا، إذ تسعى إلى الكشف عن البعد الداخلي للشخصيات الروائية وتحليل ما يعتمل في أعماقها من مشاعر وأفكار ودوافع خفية. وانطلاقًا من هذا الترابط بين الأدب وعلم النفس، تأتي دراسة رواية «آلام السيد معروف» بوصفها دراسة نفسية تركز على تحليل شخصية (السيد معروف) بوصفها المحور الأساس للأحداث في الرواية. فقد انصبت هذه الدراسة على استكشاف العالم الداخلي لهذه الشخصية، ومحاولة الوقوف على ما يختلج في دواخلها من هواجس ومشاعر وأفكار، وكذلك على الكيفية التي ينظر بها السيد معروف إلى الحياة والعالم من حوله من منظور نفسي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم بالإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

تُعَدُّ الدراسة السيكولوجية من الدراسات المهمة في الساحة الأدبية والنقدية، لما يمثله هذا النوع من فرادة تميّزه عن غيره من المناهج النقدية، إذ تتسم بتداخل الأبعاد النفسية والاجتماعية في تحليل النص الأدبي، والخروج من دائرة الظاهر إلى أعماق الباطن، من خلال الكشف عن العوامل الداخلية التي تتحكم في سلوك الشخصيات وتوجهاتها. فالرواية الأدبية السيكولوجية لا تكتفي بعرض الأحداث كما تبدو في سطحها الخارجي، بل تسعى إلى تعرية البنية النفسية للشخصيات وإظهار ما يختلج في داخلها من مشاعر وصراعات وتوترات.

ومن ناحية أخرى، فإن هذا الأسلوب الأدبي السيكولوجي لم يولد من فراغ، ولم ينشأ مصادفة، بل جاء نتيجة لتطورات فكرية وثقافية متعددة، كان من أبرزها تطور الدراسات النفسية وارتباط الأدب بعلم النفس، الأمر الذي أتاح للكاتب أن يتوغل في أعماق الشخصية الإنسانية، فيحلل دوافعها الخفية ويكشف عن أزماتها الداخلية. وقد أسهم هذا التداخل بين الأدب وعلم النفس في إغناء العمل السردي ومنحه بعدًا إنسانيًا عميقًا، حيث أصبحت الشخصية الروائية مجالًا خصبًا للكشف عن الصراع النفسي والقلق الوجودي الذي يعيشه الإنسان في واقعه.

ومن هنا تتجلى أمامنا شخصية مأزومة نفسيًا تُعد محور الأحداث في الرواية وركيزتها الأساس، وهي شخصية السيد معروف، التي تمثل نموذج الإنسان القلق والمثقل بالهواجس. فهذه الشخصية تعيش حالة من الانكسار الداخلي والشعور بالهزيمة أمام المجهول، كما تعكس أزمة نفسية عميقة تتجسد في إحساسها بالاغتراب والتردد والاضطراب النفسي. ومن خلال تتبع تحولات هذه الشخصية، يكشف النص

الروائي عن صراعها الدائم بين الرغبة في التماسك وبين شعورها المتنامي بالضعف والانهيار، الأمر الذي يجعلها مرآة تعكس قلق الإنسان المعاصر وتوتراته الوجودية.

مدخل:

تُعَدُّ كلمة السيكولوجية من المصطلحات الحديثة نسبيًا في ميدان العلوم الإنسانية، إذ شاع استعمالها واتُّفِق عليها بصورة أوسع في القرن الثامن عشر. ويُعَدُّ الفيلسوف الألماني كريستيان وولف (Christian Wolff) من أوائل من استخدم مصطلح السيكولوجية في مؤلفاته الفلسفية، ثم أخذ هذا المصطلح ينتشر تدريجيًا ويشيع في مختلف اللغات الأوروبية، حتى أصبح علمًا مستقلًا من العلوم الإنسانية بعد أن كان يُعَدُّ في بداياته فرعًا من فروع الفلسفة.[1]

أما من الناحية اللغوية، (فإن كلمة سيكولوجيا (Psychology) مشتقة من كلمتين يونانيتين: Psyche وتعني النفس أو الروح، و Logos وتعني العلم أو الدراسة. ومن ثم فإن معنى الكلمة في أصلها اللغوي هو علم النفس أو العلم الذي يهتم بدراسة النفس الإنسانية)[2]

اصطلاحا: (علم النفس هو العلم الذي يدرس سلوك الإنسان، أي يضيف هذا السلوك ويحاول تفسيره)[3]

يُعَدُّ الاتجاه النفسي في النقد الغربي من أبرز الاتجاهات التي أسهمت في دراسة الإنسان وسلوكه من منظور علمي قائم على تحليل الدوافع والعمليات النفسية. ومن أهم العلماء الذين كان لهم أثر كبير في هذا المجال سيغموند فرويد (Sigmund Freud)، إذ يُعَدُّ الرائد الأول ومؤسس مدرسة التحليل النفسي التي كان لها تأثير واسع في مجالات متعددة، منها الأدب وعلم النفس والفلسفة.

وقسّم فرويد الحياة النفسية للإنسان إلى ثلاثة مستويات رئيسة، هي: المستوى الشعوري، وهو مستوى الإدراك الواعي للأفكار والمشاعر التي يدركها الإنسان في لحظة معينة؛ ومستوى ما قبل الشعور، وهو المستوى الذي يضم الأفكار والذكريات التي يمكن استحضارها إلى الوعي عند الحاجة؛ ومستوى اللاشعور، وهو أعمق هذه المستويات وأكثرها تأثيرًا، إذ يضم الرغبات والدوافع المكبوتة التي لا يدركها الإنسان بصورة مباشرة، لكنها تؤثر في سلوكه وتصرفاته.

وتشكّل هذه المستويات الثلاثة أنظمة مترابطة تتداخل فيما بينها لتشمل مختلف جوانب الحياة النفسية للإنسان، وتفسّر كثيرًا من السلوكيات والتصرفات التي قد تبدو غامضة أو غير مبررة في ظاهرها[4]

شهدت الدراسات النفسية في الأدب العربي اهتمامًا متزايدًا بمحاولة الكشف عن الأبعاد الداخلية للشخصيات الأدبية وتحليل دوافعها النفسية. ويُعَدُّ عباس محمود العقاد من أبرز الأدباء والنقاد العرب الذين اهتموا بالمنهج النفسي وربطوه بالدراسة الأدبية، إذ سعى إلى فهم الشخصية الإنسانية من خلال تحليل العوامل التي تؤثر في تكوينها وسلوكها.

وقد اعتمد العقاد في دراساته النفسية على مجموعة من العوامل المتداخلة، من أهمها ظروف العصر والبيئة والنشأة الاجتماعية والسياسية والثقافية، بوصفها عناصر تسهم في تشكيل شخصية الإنسان وتحديد ملامحها. كما أولى اهتمامًا كبيرًا لما يتصل بهذه الظروف من عوامل الاستعداد الموروث التي تنتقل إلى الفرد من جانب الأبوين[5]

يُعَدُّ كلٌّ من علم النفس والأدب ميدانين واسعين ومتشعبين، يشتركان في كثير من الجوانب والاهتمامات، إذ يلتقيان في اهتمامهما بالإنسان وسلوكه وتجربته في الحياة. ومن خلال هذا التداخل يتضح وجود علاقة وثيقة بينهما، حيث يرتبط الأدب بعلم النفس ارتباطًا عميقًا، لأن كليهما يسعى إلى فهم الطبيعة الإنسانية والكشف عن مشاعر الإنسان وأفكاره ودوافعه الداخلية. وقد أكد عدد من الباحثين والمفكرين هذه العلاقة التي تجمع بين الأدب وعلم النفس، وعدّوها علاقة لا يمكن إنكارها بأي حال من الأحوال[6]

ومن بين هؤلاء الباحثين عزّ الدين إسماعيل، الذي أشار إلى طبيعة هذه العلاقة المتبادلة بين النفس والأدب، مبينًا أن كلًا منهما يؤثر في الآخر ويتفاعل معه. فقد ذهب إلى القول إن النفس هي التي تصنع الأدب، كما أن الأدب بدوره يسهم في تشكيل النفس الإنسانية وصياغة تجربتها. فالنفس تجمع عناصر الحياة وتجاربها لتصوغ منها عملًا أدبيًا، وفي الوقت نفسه تتلقى الأدب لتعيد من خلاله فهم الحياة ومعناها.

وبذلك تتشكل علاقة دائرية متكاملة بين الأدب والنفس، علاقة لا ينفصل طرفاها إلا ليعودا إلى الالتقاء من جديد، حيث يسهم هذا التفاعل في إحاطة الحياة بإطار دلالي يمنحها معنى وقيمة. ومن هنا فإن الإنسان لا يستطيع أن يعرف ذاته معرفة حقيقية إلا من خلال فهم الحياة وتأمل معانيها، وهو ما يسعى الأدب وعلم النفس إلى تحقيقه معًا[7]

ليست الرواية مجرد حكاية تُروى أو سلسلة من الأحداث تُسرد، بل هي قبل كل شيء وسيلة يعبّر الإنسان من خلالها عن ذاته وعالمه الداخلي. فهي تعكس مشاعره العميقة وتساؤلاته الوجودية وما يعتريه من هموم وتأملات في الحياة. ومن هذا المنطلق تُعَدُّ الرواية من أكثر الفنون الأدبية قدرةً على احتضان التجربة الإنسانية وتمثيلها في مختلف أبعادها النفسية والاجتماعية. فالرواية، بما تمتلكه من طاقة تعبيرية واسعة، تمكّن الكاتب من تصوير مشاعر الإنسان وأفكاره وصراعاته الداخلية، كما تتيح له استكشاف قضايا الحياة والوجود من زوايا متعددة. ولهذا تُعَدُّ الرواية فنًا تعبيريًا بامتياز، لأنها تعبّر عن وجدان الإنسان وضميره[8]

إن البُعد النفسي في الأدب ليس مجرد انعكاس لحالة شعورية، بل هو عنصر أساسي صادق ينبع من أزمة نفسية، ويعبّر عنها من خلال ملامسة وجدان القارئ؛ لأنه يتحدث من قلب التجربة. تستخدم

رواية آلام السيد معروف أسلوبًا يمزج بين الواقعي والنفسي، حيث يتقاطع صمت الشخصية في الخارج (السيد معروف) مع ثرثرة داخلية كثيفة، في بناء لغوي يعكس أزمته النفسية. ويقدّم الكاتب غائب طعمة فرمان تفاصيل دقيقة وجزئيات سردية يعبّر من خلالها عن هذه الأزمة بأسلوب سيكولوجي عميق.

وتظهر الشخصية الرئيسة بوصفها شخصية متأزمة نفسيًا، يتجلّى ذلك في تعلّقها بمشهد الغروب، الذي يمكن تحليله سيكولوجيًا بوصفه ظاهرة رمزية تعبّر عن حالات نفسية عميقة، ويمكن القراءة السيكولوجية لشخصية (السيد معروف) من خلال زاوية الرؤية السردية التي تُبرز وعيها الذاتي، إلى جانب الوصف السردي الذي يكشف عن أبعادها النفسية من خلال اللغة التصويرية.

أولا:

زاوية الرؤية السردية:

تعتمد رواية الآم السيد معروف على زاوية رؤية داخلية ذاتية، حيث تروى الاحداث من منظور الشخصية الرئيسة، مما يجعل العالم الروائي انعكاسا مباشرا لوعيها النفسي، ويمكن دراسة هذه الرؤية من خلال تحليل المنظور السردي الذي يكشف عن طبيعة الإدراك الداخلي للشخصية، وكيفية تمثّلها للواقع وفق حالتها النفسية.

فنجد نصا من رواية آلام السيد معروف، تتعدد الأصوات فيها كتعدد الهويات، فالراوي أحيانا يكون غائبا عن النص الروائي، واحيانا يكون حاضرا في الحدث، فيؤدي هذا التحول إلى تعدد أنماط الوعي الفكري، وتقديم ايديولوجيات وفقا للشخصيات في الرواية، وجاء ذلك بتقديم رؤية سيكولوجية عميقة لشخصية السيد معروف من خلال أساليب بلاغية وتناصات متعددة:

(استنشق السيد معروف نفسا طويلًا عميقًا، وزفر حثالة كاربون، وأصر أنه يدخل في بستان الغروب، فإن للغروب رائحة ندية تتجاوب مع رائحة غامضة أخرى كامنة في أغوار النفس تسري رعشة لذيذة خفيفة في الظهر وخلف الأذنين كصدى الموسيقى غير مفهومة ولكنها مهدئة.

ورأى الشمس ملثمة حتى العينين بخمار داكن من خضرة النخيل في الجانب الآخر من النهر، فردد: قل للمليحة في الخمار الأسود ماذا فعلت براهب متعبد؟ حي على الغروب، استغفر الله، فقال، مليحتي ذات خمار داكن الخضرة تغمز لي من وراء الطوفة)[9]

الرؤية المركزية النفسية في النص ركزت على الشخصية، والتفاوت الزمني ما بين الشروق والغروب، لتكشف من خلال ذلك عن هوية الشخصية، والعلاقة الروحية بينها وبين الغروب، ووصف الغروب من وجهة نظرها الخاصة (الشخصية)، التي تميزت بسعة الخيال والقدرة على التشبيه، فقد قدم كل الأشياء من حوله بوصف لشيء ملموس ومحسوس، فالتعبير المجازي جاء في قوله (كصدى لموسيقى غير مفهومة ولكنها مهدئة)،على أنه في الغروب موسيقى لا يشعر بها إلا من غرم بالغروب، مثل (السيد

معروف)، وفي قوله:(الشمس ملثمة حتى العينين بالخمار داكن)، استعارة مكنية، إذ حذف المشبه به وهي(المرأة) ورمز إليه بشيء من لوازمه، وفي ذلك دلالة على اختفاء شعاعها والتدرج في اختفاء سطوعها، وهذا الوصف النفسي جاء بتقمص الراوي وجهة نظر الشخصية والعيش في خيالها ليصف الحياة من عينيها.

ومن خلال الوصف الشعوري العميق، تشترك معرفة الراوي والشخصية في المستوى نفسه عند مشاركة الشخصية ذاتها في اكمال الحدث بضمير المتكلم عند ترديدها (قل للمليحة...)، وهو تناص اجتراري مع ما جاء في قول الشاعر ربيعة بن عامر الدرامي، والملقب بالمسكين في قصيدته :

قل للمليحة في الخمار الأسودِ

ماذا فعلت بناسك متعبدِ

قد كان شمر للصلاة ثيابه

حتى وقفت له بباب المسجدِ[10]

فالتناص مع هذهِ القصيدة جاء تعبيرا عن الشأن الكبير والمؤثر للغروب، فتحول السرد في النص من النثر إلى الشعر وذلك بطريقة إنسيابية دون فواصل، وبالتالي فإن تداخل القصيدة مع السرد عمل على إتاحة الإمكانية للمتلقي كي يصبح أسيرا للنص، أما الأغواء الشعري فله الأثر المهم في اشاعة روح التشويق لدى القارئ.

ويكمل الراوي تعبيره النفسي السيكولوجي بأسلوب شعوري يحمل بين طياته السجع والتناص، وبهذا ينسحب النص من السردي إلى النفسي، ويعود بحركة منطقية وسلسلة من النفسي إلى النثري، على ما يمكن تسميته بالتراسل النصي الذي بدورهِ حقق تناسقية اللغة وجعلها مدهشة، كما جاء في النص:

(هلًا.. الأشياء كلها تستحم في الهيولى الوردية التي تغدقينها على البشر، منذ بدء الخليقة، حيث لا شيء غير الغروب والشروق، ووجه ربك ذي الجلال والإحسان، حياك الله وبياك، وجعل الجانب الغربي مثواك، ولوح بذراعه اليمنى للشمس خلسة، كأنه يقول لها قبل أن تغادر المدينة : أنا هنا..)[11]

نلاحظ أن الراوي يخلق مرويًا غير حي في داخل متن الرواية، وبالرغم من جموده، فإنه يصل به إلى مرحلة تعبر الحوار ويحاول أن تكون هذه الشخصية بملامح جديدة وجميلة، ووجود شبه فعلي يتغذى من دواخل الراوي، ويبدو أن الراوي بحاجة فعلية لهذا الموصوف الذي يستطيع من خلاله أن يوظف كل هذا الانسجام الداخلي ليعبر تناصيًا ان لا شيء يبقى وجوده في النفس غير الغروب، كما جاء في قوله الله تعالى: ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَام**﴾[12]، يخبر في هذه الآية الله سبحانه وتعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون، وكذلك أهل السموات إلا ماشاء الله، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم، فإن الله تعالى لا يموت، فالكاتب قام بتطويع لغته إلى ما يخدم ذلك الاستعمال ويقتاده إلى مساحة القرآن، فهو

يستمر بالتوصيف في سعي منه لتقديم صورة خلود الغروب في نفسه مع صورة زوال كل شيءإلا وجهه الكريم.

وفي قول الراوي (حياك الله وبياك، وجعل الجانب الغربي مثواك)، سجع، أضاف على النص ايقاعًا ملحوظًا، وبما أن مكانه السجع في النثر بمثابة القوافي في الشعر إلا أنه حقق شاعرية ملحوظة في النص، من هنا جاء التعبير السيكولوجي مرتبطا بما تتأثر به الشخصية معبرا عنه الراوي بطريقة اقرب الى الوصف النفسي العميق.

ثانيا:

بنية الوصف السردي:

تقوم البنية الوصفية في رواية الآم السيد معروف على توظيف الوصف بوصفه أداة للكشف عن العالم الداخلي للشخصية، حيث نجد في احد مقاطع الرواية وصفًا حسيًا للشخصية، مركزً على الجوانب المظلمة فيه بإيقاع سريع لخلق الشعور بالتوتر والقلق بأسلوب سيكولوجي ذاتي:

(هل تمتعتم بالغروب مرة واحدة في حياتكم؟ هل طار خيالكم مع الشمس تلاحقونها إلى آخر الدنيا؟ طنجة، سبتة، سرقسطة، باجة، ويبحرون فرارً من الليل، البحر من ورائكم، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، في شبه جزيرة الأندلس، المليئة بالحور الحسان، من بنات اليونان، رافلات بالدر والمرجان. الله ينصر السلطان.)[13]

(يدرس علم نفس الشخصية "من ناحية تركيبها أو أبعادها الأساسية ونموها وتطورها ومحدداتها الوراثية والبيئة وطرق قياسها، كل ذلك على أساس نظريات متعددة والهدف بينها مشترك وهو التنبؤ بما سيكون عليه سلوك الفرد في موقف معين، والشخصية بوصفها فرعا هاما من فروع الدراسات الأساسية)[14]

النص يتميز بأسلوب خطابي تصويري يجمع بين الاستفهام البلاغي، الصور الخيالية، والمقابلة، ويعتمد على تدرج فني من التأمل إلى التحفيز، مما يمنحه قوة تأثير عاطفي نفسي.

اللغة في النص حماسية تأملية، تجمع بين الصور الجمالية (الغروب، البحر، الليل) والموقف الوجودي، ويمكن تحليله نفسيا على عدة وجوه ومنها، التباين بين الجمال والخطر في ذكر (الغروب والليل والبحر)، مما يوحي بحالة من الهدوء والتأمل وربما الصفاء الروحي.

لكن في المقابل هناك عبارة (العدو أمامكم)، مما يخلق تناقضًا نفسيًا بين الشعور بالجمال والسكينة والشعور بالخطر والتهديد، هذا التباين يعكس حالة نفسية يعيشها الإنسان حين يكون في ظرف صعب لكنه ما زال قادرًا على إدراك الجمال في العالم.

والوجه الآخر هو حالة المواجهة الوجودية في عبارة "وليس لكم والله إلا الصدق والصبر" تشير إلى وضع حدّي فالخيارات قليلة اذ لا يبقى إلا القيم الأخلاقية أو الروحية كالصبر والصدق.

ويسمى هذ في علم النفس الوجودي لحظة المواجهة مع الحقيقة، حين يختبر الإنسان دمى قدرته ومقاومته وصبره.

والنص بصورة عامة يعتمد على أسلوب الاستفهام المتكرر في (هل تمتعتم بالغروب؟)(هل طار خيالكم مع الشمس؟) (هل فررتم من الليل؟)، هذا الاستفهام ليس حقيقيًا لطلب الجواب، بل هو استفهام بلاغي غرضه أثارة التفكير وإدخال القارئ في الحالة الشعورية للنص.

ونجد في نص أخر وصفا سيكولوجيا يعبر عنه الكاتب من خلال الصراع النفسي بين النظرة المتفائلة التي ترى الضوء حتى خلف الغيوم، وبين الخوف من التفكير في النهاية (الغروب). وهذا ما يعكس شخصية السيد معروف التأملية الفلسفية:

(. أما زلت مضربًا عن الساعة؟

. الشمس تحد لي المواقيت.

لم يقل له اضطررت لإدخال الساعة إلى البيت من أجل أمي، لأن

ذكر أمه مرة أخرى أمام موفق.

. وإذا كانت الدنيا غائمة؟

. أرى الشمس من خلال الغيوم.

– أنت تفكر في الشمس إذًا؟

. في غروبها.

ولماذا في غروبها، أليس ذلك دليلًا آخر على تشاؤمك؟)[15]

النص يتميز بأسلوب حواري تأملي يعتمد على الاستفهام البلاغي والرمز، حيث تتحول الشمس والغروب إلى رمزين فلسفيين يعبران عن النور والأمل من جهة، والنهاية أو التشاؤم من جهة أخرى.

أن انصهار العنصر النفسي مع العنصر السردي كان سببًا في إفراز ملامح الصورة على مستوى الشعور والوعي؛ لأن الأسلوب النفسي وإن تداخل مع السرد لا يتبنى خطابًا سرديًا متكاملً، ربما يوحي ببعض عناصر السرد ولكن عادة ما تكون تلك عناصر متقطعة ومنحسرة التفاعل، فنجد السيكولوجي مع السردي أنما هو بسبب طبيعة الذات الإيحائي.

في نص آخر نجد قدرة الكاتب على تغير وظيفة اللغة الوضعية بإيجاد علاقات لغوية جديدة تشير إلى مواضيع يخلقها السارد، مما يؤدي إلى تغيير مقام الكلمات وصياغتها بلغة رمزية سيكولوجية لمعالجة موضوعات واقعية حساسة فيقول في مقطع سيكولوجي نفسي:

(وتنهد السيد معروف. الصمت مغيظ مثل ضحكة مكتومة، السنتهم الساكنة تتهيأ لغارة جديدة عليه. تحاشي النظر إلى وجوههم، وانكبّ على طابعته. كتابنا وكتابكم. الموضوع تحويل تفكر. ابتسامة حلوة،

وعينان حدوبتان. والغروب غلالة وردية توطر وجهها، ويملأ خيله. لحظة ضعف وانهيار.لست أعور ولا أحول ولا أعرج ولا أعضب ولا أجرب، ليس لي أية عاهة من العاهات المشوهة للوجه البشري)[16]

يجمع النص بين الوصف النفسي العميق والتصوير الادبي الجميل؛ فهو يصوّر حالة إنسان يعيش توترًا اجتماعيًا وضغطًا نفسيًا، بينما تعكس الصور الأدبية جمال الطبيعة التي تقف في مقابل اضطراب النفس. وللغروب (كما ذكرنا)، اثر كبير لدى شخصية السيد معروف ففي قوله (والغروب غلالة وردية تؤطر وجهها)، هذا الوصف يمنح المشهد طابعًا نفسيا شعوريا ويجعل الطبيعة تبدو كأنها تضفي جمالًا إضافيًا على الشخصية.

كما أن استخدام اللون الوردي يوحي بالهدوء والسكينة والجمال، مما يخلق جوًا هادئًا ومؤثرًا في القارئ.

يتحقق الاسلوب السيكولوجي في النص السردي من خلال المقاربات البلاغية التي تطبق مفاهيم البلاغة ومدى تأثيرها في نفس المتلقي، فنجد في النص عدة أساليب بلاغية، ومنها:

1.التكرار والتعداد في نفي العيوب.

2.الاستعارة والتشخيص في تصوير الغروب.

3.مقابلة معنوية بين القبح المحتمل والجمال الطبيعي. وهذا يخلق حركة بلاغية من الواقعية القاسية إلى الصورة الشعورية الرقيقة.

للتناص تأثير سيكولوجي له القدرة على كشف الملامح النفسية الظاهرة على شخصية (السيد معروف)، أذ استحضر الكاتب مفهوم السيكولوجية بوضوح تام وعمل على وضوح هيمنة الإحساس المتولدة من وصفه شعور الشخصية ونظرتها للحياة، فيقول في مقطع يعد وصفا نفسيا لشخصية (السيد معروف) :

(بقي أن أذكر، إنصافً للتاريخ، أن الأعراب، كما يقول الجاحظ، لم تكن تتصيده في أول الليل، لأنها تعتبره من مطايا الجن، ولكنه في عصرنا الحاضر الذي لا يؤمن بنظرية الجن والإنس، يصاد في كل الأوقات، اناء الليل، وأطراف النهار. تفضل، صده، قدر ما تشاء، ومتى تشاء، وأينمًا تشاء. وأنا، الجربوع، لا أخشى أن أؤكل، أو هذا ما أقوله بيني وبين نفسي، ولو كنت آسف على ذلك، بصريح العبارة. وأخشى ما أخشاه، لا سيما في الوقت الحاضر، أن أحيا غير حميد، وأموت غير فقيد..)[17]

يصور الراوي في النص واقعا مؤلما تعيشه الشخصية، مستعينا بالتناص؛ ليحرر الوصف السيكولوجي من موقعه العادي ويجعل القاريء يعيش توترا قائما من خلال استعارته لتركيب لغوي قرأني وتوظيفه في سياق مختلف (يصاد في كل الأوقات أناء الليل واطراف النهار) تحيل مباشرة إلى قوله تعالى:

(فسبح بحمد ربّك آناء اللّيلِ وأطراف النّهَار).[18]

كما يظهر نوع آخر من التناص في العبارة الختامية "أن أحيا غير حميد وأموت غير فقيد"، وهي عبارة تحمل طابعًا حكميا قريبا من أسلوب الأمثال والحكم العربية التي تقوم على التوازن اللفظي والتقابل لدلالي.

الراوي في النص لا يسرد أحداثًا متتابعة بقدر ما يقدم أفكارًا وتأملات شخصية، لذلك يمكن وصف النص بأنه أقرب إلى السرد التأملي أو المونولوج الداخلي؛ حيث يتحول الكلام إلى حديث مع الذات أكثر منه حكاية موجهة للآخرين.

وفي احد النصوص نجد تعبيرا سيكولوجيا نفسيا من دواخل السيد معروف من خلال حديثه مع اخته:

(. ها؟ لم يبدأ التلفزيون بعد؟

. أي تلفزيون؟

سألت بسهوم خالي البال.

. تلفزيون الجيران، أصبحت من عشاق التلفزيون في آخر الزمان.

. ما حب الديار شغفن قلبي، ولكن حب من سكن الديارا.

وخيل إلى السيد معروف أن ابتسامة من نوع عجيب التمعت على شفتي محبوبة أخته، وكأنها تعلن سموها عليه، وسخريتها منه، وانفصاله عنه أشاحت عنه بوجهها حياء بدا له مفتعلا أنانيا، وكأنما هو وسيلة أخرى للضحك منه)[19]

قدم الكاتب مقطعًا سيكولوجيا بإمعان سردي، ويبدؤه بوصف ماتشعر به الشخصية نفسيا وكيف تفسر الأمور من وجهة نظر خاصة بها، وكأنة يشير إلى تعايشه المستمر مع احساسه المتشاؤم، وبذلك بدا المقطع عبارة عن فضاء مظلم لا يضيئه الا مشاعر مبعثرة ورؤية منكسرة لدى السيد معروف، حيث اتجه التركيز بشكل مباشر على صورة النص المبسطة في تقديم أجواء ذلك الإحساس، فالمشهد يعتمد على لحظة دقيقة جدًا لكنها مشحونة بالمعاني، وهذا هو أسلوب السرد النفسي الذي يركز على تفسير الإشارات الصغيرة.

مع التنوع الفكري وتنوع أدوات الكاتب الفنية نجد ذلك في احد مقاطع رواية (آلام السيد معروف)، حيث يعتمد في توضيح هدفه على تظافر مرتكزات نصية عدة، ومن ثم يجرد النص مما يسهم في اخفاء المعنى والدلالات إليه، ويُبقي للقارئ الدور الأساس للذهاب بمخيلته إلى ما يريد التوصل إليه واستنتاجه، فيقول:

(في المستشفى رائحة غريبة، وموتى وأنصاف موتى ومشرحة، أنا ما أزال محمومًا، لو مت البارحة لنقلوني إلى المشرحة، أمي ليست لها عينان سليمتان لتبكي علي. لعل رفاقي بالأمس قضوا ليلة

مرعبة..في السراديب.. هذا شيء أكيد، سيجردونهم من ملابسهم، ويصبون عليهم الماء البارد.. ثم يقولون لهم ماذا كنتم تقولون في الاجتماع؟ ماذا تريدون؟ تحاربون الحكومة.. مخابيل.. أنتو زعاطيط.. شمعرفكم بالسياسة؟ ويقولون لهم كلامًا بذيئًا)[20]

يقدم لنا النص لقطات متكاملة من حيث الصورة ودقتها ونلحظ التكثيف متواجد في السرد وتشكيل الحالة النفسية، مع بساطة اللغة والمعنى الظاهر الناتج عنها إثارة فنية، ومع توفر مؤهلات التحليل السيكولوجي للشخصية، جميعها في النص، إلا أن الحدث في المقطع السردي يجعلنا نجده يتوسط بتوتر وقلق ما بين أمر وآخر، إذ نلحظ منذ بداية النص محاولة الكاتب بتصوير مشهد درامي للشخصية وهي داخل المستشفى وما تراه من هول الحالات فيها، فقام تصوير ذلك المشهد على وجود السيد معروف والتركيز على أفعاله وما انتابه من احساس اليم غير مريح، ومن ثم احساسه بما سيحصل لرافقه في المعتقل.

فالنص يصوّر إنسانًا يعيش بين المرض والخوف من الموت والقلق على رفاقه المعتقلين. والسرد الداخلي واللغة المكثفة والرموز المرتبطة بالموت (المشرحة، أنصاف موتى) تجعل النص لوحة أدبية مؤثرة تعكس المعاناة النفسية والواقع القاسي لدى شخصية السيد معروف، ومن الممكن تلخيص الحالة السيكولوجية لدى السيد معروف من خلال هذا الحدث كالاتي:

1. الشعور بقرب الموت

قول الراوي: «لو متُّ البارحة لنقلوني إلى المشرحة» يدل على:

. إدراك حاد لقرب الموت.

. حالة من التأمل القلق في المصير.

2. الإحساس بالوحدة والضعف، ذكر الأم: «أمي ليست لها عينان سليمتان لتبكي عليّ» يكشف:

. حاجة نفسية إلى الحنان والحماية.

. شعور بالذنب أو الألم لأنه يسبب الحزن لأمه.

3. القلق على الآخرين، قوله: «لعل رفاقي بالأمس قضوا ليلة مرعبة في السراديب» يدل على:

. ارتباط عاطفي قوي بالرفاق.

. خوف من تعرضهم للتعذيب.

4. صدمة نفسية وخوف من القمع، حيث وصف التعذيب: «يجردونهم من ملابسهم ويسكبون عليهم الماء البارد...».

ختاما، تقدّم رواية (آلام السيد معروف) رؤية نفسية عميقة للإنسان الذي يعيش يأس وخيال. ويعتمد الكاتب على السرد الداخلي والمونولوج النفسي ليكشف عالم الشخصية الداخلي، لذلك تبدو الرواية

أقرب إلى تحليل نفسي أدبي لشخصية تعيش صراعًا بين الأمل والقلق، فكان تركيز الكاتب على تعلق السيد معروف بـ (الغروب) يشير إلى التأمل والحزن الهادئ، فالغروب لحظة انتقال بين الضوء والظلام، ولذلك ينجذب إليه الأشخاص الذين يعيشون حالة تفكير عميق.

وكذلك تدل على الشعور بنهاية الأشياء فالغروب يرمز نفسيًا إلى النهاية أو الأفول، فكل هذه الاحتمالات يتوصل إليها القارئ من خلال التحليل النفسي السيكولوجي للنص السردي.

الخاتمة:

من أهم ما توصلنا اليه من خلال دراستنا في هذا البحث:

1. يعد السرد أداة أساسية لفهم التجربة الإنسانية، فهو لا يقتصر على نقل الاحداث فحسب، أنما يعكس عمق المشاعر التي تتشكل داخل النفس البشرية، من هنا، يظهر دور السيكولوجية السردية، حيث تعمل على دراسة التجربة النفسية من حيث بناؤها السردي.
2. يتصل الأدب بعلم النفس اتصالا وثيقا، فالإنسان في كل ما يصدر عنه من نشاط أدبي يعكس تجاربه العقلية ويستعين بحقائق نفسية ذات مصطلحات أدبية ولغة سردية يعبر بها عما يدور في خلجات نفسه، ومن خلال السرد الادبي السيكولوجي توصل غائب طعمة فرمان الى ادراك المتلقي ونقل حالة شعورية نفسية عميقة له.
3. تتميز لغة غائب طعمة فرمان السردية بقدرات بيانية ودلالية وصفية، إضافة إلى عنايته بالمضمون الحكائي.
4. يتكرر الغروب في الرواية، ومن خلال الوصف السيكولوجي، فالغروب يرمز إلى النهاية والانطفاء ويعكس الحالة النفسية الحزينة للشخصية ويمثل تراجع الأمل وبداية العتمة في نفسية الشخصية الرئيسة (السيد معروف)

قائمة الهوامش:

[1] . ينظر: مباديء علم النفس، صابر خليفة ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، ط1، 2009، ص7 - 8

[2] .ينظر: المصدر نفسه، ص8

[3] .ينظر: علم النفس، كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 1916، ص4.

[4] .ينظر :مقدمة في التحليل النفسي، كمال وهبي ، دار الفكر العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1997، ص38

[5] .التدخل الى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (أنموذجا)، زين الدين المختاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1992، ص22.

[6] .التفسير النفسي للادب، عز الدين إسماعيل، مكتبة الغريب، القاهرة ـ مصر، ط4، 2014، ص5.

[7] .ينظر: التفسير النفسي للادب، عز الدين إسماعيل، ص5

[8] . الرواية السياسية (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، أحمد محمد عطية ، مكتبة مدبولي، مصر ـ القاهرة، ط1، 2003، ص7.

[9] . آلام السيد معروف، غائب طعمة فرمان، دار المدى،ط1، 2015 ، ص11 .

[10] كتاب الأغاني، أبو فرج الاصفهاني، دار صادر، بيروت، ط3، 2008، ص191 .

[11] .آلام السيد معروف ، ص 81 .

[12]. سورة الرحمن : آية ٢٧.

[13] . رواية الأم السيد معروف، ص30.

[14].سيكولوجية الشخصية ، ثائر احمد غباري ، خالد محمد أبو شعيرة، ، الاعصا للنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص49

[15].الام السيد معروف،ص 17

[16].رواية الام السيد معروف،ص 32

[17] رواية الام السيد معروف، ص 121

[18].سورة طه: آية 130.

[19] رواية الام السيد معروف،ص 71- 72

[20] رواية الام السيد معروف، ص 141

قائمة المصادر والمراجع:

القران الكريم.

1. التفسير النفسي للادب، عز الدِّين إسماعيل، ، مكتبة الغريب، القاهرة، ط4 ،2014
2. الأغاني ،أبو الفرج الأصفهاني، ، دار صادر، بيروت، ط1، 2014
3. مبادئ علم النفس، صابر خليفة ،دار اسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
4. الرواية السياسية (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، أحمد محمد عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2003.
5. علم النفس ، كامل محمد عويضة، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2016
6. سيكولوجية الشخصية، ثائر احمد خالد محمد أبو شعيرة غباري، الاعصا للنشر والتوزيع، ط1، 2015.
7. آلام السيد معروف، غائب طعمة فرمان ، دار المدى، بغداد، ط1، 2015.
8. التدخل الى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (أنموذجًا)، زين الدِّين المختاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1992.
9. مقدمة في التحليل النفسي ، كمال وهبي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1997.

References:

The Holy Quran

1. Ismail, Ezz El-Din (2014): The Psychological Interpretation of Literature, Al-Gharib Library, Cairo, 4th ed .
2. Al-Asfahani, Abu Al-Faraj (2008): Al-Aghani (The Book of Songs), Dar Sader, Beirut, 1st ed.
3. Khalifa, Saber (2009): Principles of Psychology, Osama Publishing and Distribution House, 1st ed.
4. Atiya, Ahmed Mohamed (2003): The Political Novel (A Critical Study of the Arabic Political Novel), Madbouli Library, Cairo, 1st ed.
5. Awida, Kamel Mohamed (1916): Psychology, Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, Beirut, 1st ed.
6. Ghubari, Thaer Ahmed Khaled Mohamed Abu Sha'ira (2015): The Psychology of Personality, Al-A'sa Publishing and Distribution, 1st ed.
7. Farman, Ghaeb Ta'ma (2015): The Pains of Mr. Ma'rouf, Dar Al-Mada, Baghdad, 1st ed.
8. Al-Mukhtari, Zain al-Din (1992): Intervention in Psychoanalytic Criticism: The Psychology of Poetic Imagery in Al-Aqqad's Criticism (A Model), Arab Writers Union Publications, Damascus, 1st ed.
9. Wahbi, Kamal (1997): Introduction to Psychoanalysis, Arab Thought House, Beirut, 1st ed.